المبحث الرابع
توحيد الأسماء والصفات

ومعناه: الإيمان بما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في سنته من الأسماء الحسنى والصفات العلا، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كُنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين[1].

أولاً: الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات:

إن توحيد الله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته يتطلب التقيد في ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نضع له اسماً أو صفة ليست واردة في المنهلين، ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. وعلى ذلك فيمكن أن نذكر هذه الأسس:

1 ـ أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية فلا نثبت لله تعالى ولا ننفي عنه، إلا بدليل من الكتاب أو السنة إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من هذا الطريق.

---

(1) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، ص: 27.

2 ـ وأن الإيمان بأن الله تعالى لا يشبه أحداً من خلقه في أسمائه ولا صفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه، وإن سمى أو وصف أحداً من المخلوقين بتلك الأسماء والصفات فذلك اشتراك في اللفظ لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء والصفات، فأسماء الله تعالى وصفاته على ما يليق به سبحانه وتعالى، وما يسمى به من المخلوقين أو يوصف من ذلك فعلى ما يليق بالمخلوق نفسه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

3 ـ وأن صفات الله كلها صفات كمال، فله سبحانه الكمال المطلق وهو المنزه عن كل نقص، ومما ينبغي معرفته في الإيمان بأسماء الله وصفاته أن يقطع الطمع في كيفيتها وألا يسأل عن ذلك، إذ لا يسأل عن صفات الله تعالى بكيف، وأن يعلم مع ذلك ويعتقد أن هذه الصفات معلومة المعنى، فلم يخاطب الله تعالى عباده ويتعبدهم بأمور لا يعلمون معناها، ولهذا قال الإمام مالك وغيره من علماء الأمة لمن سأل عن كيفية استواء الله تعالى على عرشه: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1]. وقال ربيعة ـ شيخ مالك ـ قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا البيان[2].

ثانياً: أدلة هذا النوع من التوحيد:

لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، ومن ذلك سورة الإخلاص فهي بكاملها

(1) فتاوى، لابن تيمية (3/ 58).

(2) المصدر نفسه (3/ 58)، حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 255.

عن أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4].

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه أحد صمد، فهذان الوصفان يدلان اتصاف الله بغاية الكمال المطلق[1]، ومعنى الصمد: إنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد، وهذا المعنى يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه أي يرجع إليه في كل أمر، وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء والفعّال لما يريد والذي بيده الخلق والأمر والجزاء وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها، فالمرجع والمرد إليه سبحانه[2]، وأما التنزيه فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده فإنه الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يُطعِم ولا يُطعَم، ولا في أفعاله فلا شريك له ولا ظهير، كما أن وصفه سبحانه: بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق[3]، فكذلك يدلان على معنى آخر وهو نفي الولادة والتوليد عن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ [الأنعام: 14]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 56 ـ 58].

(1) علو الله على خلقه، بتصرف، ص: 28.

(2) المصدر نفسه، ص: 28، 29.

(3) المصدر نفسه، ص: 28، 29.

فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة ولا ولد قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: 101].

وفي هذا نفي عن المخلوقات مكافأته أو مماثلته للخالق ومثل ذلك قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1] ، أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً ونظيراً[1]، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: 65]. أي لا شيء يساميه لا نِدَّ ولا عدل ولا نظير له يساويه، فانكر التشبيه والتمثيل. وبهذا يتبيَّن لنا أن تنزيهَه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته كما دلت على ذلك سورة الإخلاص[2].

ثالثاً: أسماء الله الحسنى:

لربنا تبارك وتعالى أسماء سمّى بها نفسه منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودة في القرآن، ومنها ما علّمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين، أو الملائكة المقربين، أو ما شاء الله تبارك وتعالى، ومن أسمائه سبحانه ما استأثر به في علم الغيب عنده فلا يعلمه أحد، وذلك أن لله تعالى من معاني العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه، لأنه الإله الحق المبين، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال

(1) من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، ص: 62.
(2) المصدر نفسه، ص: 62.

المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فلله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى.

1 ـ أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: 27]. فلله ﷻ من معاني الحمد والمجد، والكمال والعظمة والقوة والقدرة والسلطان ما لا يحيط به بشر، ولا يدركه عقل، ولا يقف عند منتهى كُنهه إدراك، والحديث الوارد في أسمائه ﷻ لا يعني قصر الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين، بل إن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح ـ الذي رواه ابن مسعود ﷺ ـ مناجياً وداعياً ربه تبارك وتعالى: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1].

وذكر في حديث الشفاعة أنه يسجد ﷺ تحت العرش، فيفتح الله عليه بمحامد يعلمّها له، لم يكن يعلمها من قبل[2].

2 ـ أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية فلا يحق لأحد من الناس أن

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (رقم 3712)، وأخرجه **الحاكم** في مستدركه (1/ 508).

(2) أخرجه **البخاري** كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (الحديث: 6565) مطولاً، وأخرجه **مسلم** في كتاب: الإيمان، باب: حديث الشفاعة (الحديث: 474).

يخترع لله تعالى اسماً، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء في القرآن أو السنة بصفة الاسم، مثل: الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العليّ، العظيم، المؤمن، المهيمن.

3 ـ من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسمَّى بها غيره وهي «الرَّحْمَن» «الله»: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110]، ولهذا لا يتسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، «فالله» و«الرَّحْمٰن» من الأسماء التي لا يُسمَّى بها أحد إلا الله ﷻ[1].

4 ـ من أسماء الله ﷻ ما يجوز أن يذكر وحده منفرداً، كالعزيز، والحميد، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير، وما أشبه ذلك، فتناديه بها وتدعوه بها، وتعرفه سبحانه، ومن الأسماء ما لا يُذكر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «النافع الضار»، أو «القابض الباسط» وما أشبه ذلك من الأسماء التي تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب لكان هذا مُوهِماً لمعنى لا يليق بمجد الله وكرمه وعظمته وكماله وقدسيته، لهذا لا تُذكر هذه الأسماء منفردة، وإنما تذكر مع نظيرها ومقابلها.

5 ـ معنى الإحصاء في قوله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة»**[2]: يشمل أموراً منها:

---

(1) مع الله، ص: 24.

(2) أخرجه **الترمذي** في كتاب: الدعوات، باب: 82 (الحديث: 3506).

أ ـ معرفة هذه الأسماء وحفظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدها عداً، وقد اعتنى جماعة من أهل العلم بعدّ هذه الأسماء، كالزَّجَّاج، وابن منده، وابن حزم، وأبي حامد الغزالي، وابن العربي، والقرطبي، وغيرهم من المصنفين، والعلماء الذين اعتنوا بذكر هذه الأسماء وتعدادها واستخراجها من القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وهذا داخل في معنى إحصاء أسماء الله الحسنى، وفضل عظيم للإنسان أن يكون عنده إلمام ومعرفة بأسماء الله ﷻ، وأن يتلوها، وأن يدعو الله بها[1].

ب ـ من معاني إحصائها: معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هي بلسان عربي مبين، أُريد من الإنسان أن يتفهم معانيها، حتى تكون تلاوتنا لها ذات معنى وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها، وهذا بحدّ ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها ويرتقي بالقلب والعقل والروح.

ج ـ الإلحاح بالدعاء لله ﷻ بهذه الأسماء كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: 180].

إن الله تبارك يجب أن يُدْعى بها ولهذا قيل:

لا تسألنَّ بُنيّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابُه لا تُحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

فندعو الله بأسمائه الحسنى باعتدال وذلك بأن تدعو الله تعالى

(1) مع الله، ص: 26.

وتسأله وترجوه فيما ألمَّ بك من أمر دنياك وآخرتك مما تحب وترجو، أو مما تخاف وتكره، أو تدعوه بهذه الأسماء باستحضار معانيها، وتأملها وتدبُّرِها والتعبد بمقتضياتها، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والذكر والاستحضار[1].

ج ـ استحضار معاني تلك الأسماء، فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلة والاستغراق في ماديات الحياة والانسياق وراء صوارفها، وخير دواء للقلوب هو استحضار عظمة علاَّم الغيوب، والتدرج بالنفس في مراقي معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل درجة: أن تعبد الله كأنك تراه[2]، فهذا يزيد المرء إقبالاً على الطاعة وحفاوة ونشاطاً، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: 218، 219].

كما أن استشعار معاني هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضاً عن المعصية وزهداً فيها وإسراعاً في الإقلاع عنها، وقوة في التوبة والأوبة لما يحسُ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولما يحاذره ويستشعره من غضبه أو عتبه أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب[3].

إن من خير ما تورثه تلك الأسماء: الصفاء والسكينة والوئام، والإحجام عن الناس، والتواضع لذي الجلال، إلى سعة العقل والفهم والإدراك، ولعلّ من إحصائها ألا تتحول إلى مادة للخصام أو الجدل

---

(1) مع الله، ص: 27.
(2) المصدر نفسه، ص: 28.
(3) المصدر نفسه، ص: 28.

الأكاديمي، الذي لا يثمر معرفة قلبية، على أن البحث العلمي الهادي مطلب لا بدّ منه لمن أراد سلوك الطريق[1].

رابعاً: الصفات الإلهية:

تنقسم الصفات الإلٰهية إلى عقلية وخبرية وإلى ذاتية وفعلية اختيارية، فالصفات العقلية والخبرية جاء بها القرآن وتحدثت بها السنة.

1 ــ الصفات العقلية:

هي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها[2].

2 ــ الصفات الخبرية:

وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه واليدين والعين، والاستواء على العرش ونحو ذلك[3]، فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف[4]، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

---

(1) مع الله، ص: 28.
(2) المصدر نفسه، ص: 59، 60، 61.
(3) المصدر نفسه، ص: 60.
(4) المصدر نفسه، ص: 61.

ـ بعض الصفات الخبرية:

1 ـ إثبات استواء الله على عرشه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: 58-59].

ويجب إثبات استواء الله على عرشه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى[1]. ولما سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: 5]، قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر أن يخرج السائل من المجلس[2]. وأكثر من صرح بأن الله مستو بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد بن أبي يزيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، وكان مالكياً، وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسماء الحسنى، وكذلك

(1) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ص: 62.

(2) شرح حديث النزول، **لابن تيمية**، عقيدة المسلمين، ص: 86.

أبو عمر ابن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين، وغير ذلك من السادة المالكية[1].

إن كتاب الله ﷻ من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وأنه فوق العرش وفوق السموات مستوٍ على عرشه[2].

2 ـ صفة المجيء:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: 22]، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 210]. ويجب إثبات المجيء من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقة يليق بالله تعالى[3].

3 ـ صفة الرضا:

قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: 119].

4 ـ صفة المحبة:

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54].

5 ـ صفة الغضب:

قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: 93].

---

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص: (2/ 134).
(2) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: 96.
(3) لمعة الاعتقاد، ص: 52.

6 ـ صفة السخط:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: 28].

7 ـ صفة الكراهة:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: 46].

فصفة الرضا، والمحبة والغضب والسخط والكراهة صفات ثابتة لله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهي على ما يليق به ﷻ، وكذلك صفة الغيرة، والفرح والضحك، فقد جاء ذكرها في أحاديث نبوية صحيحة.

3 ـ الصفات الذاتية:

لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه[1] وغيرها.

ـ بعض الصفات الذاتية:

1 ـ صفة الحياة:

إن الله تعالى له الحياة الدائمة التامة التي لا يعتريها، نقص بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] وصفة الحياة ثابتة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فالآيات منها قوله

(1) مع الله، ص: 65.

تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255] ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: 65] ، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]. وأما الأحاديث، فمنها حديث ابن عباس ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[1]. ومن معاني (الحي): أن حياته صفة ذاتية بخلاف المخلوقين، فإن حياتهم من فضل الله ﷻ عليهم ومعيشتهم من عطائه وجوده وكرمه، فالله تعالى متصف بالحياة وهي صفة لذاته جل وعلا. ومن معانيها أيضاً أنه يمنح الحياة للأحياء في الدنيا، ويمنح أهل الجنة حياتهم الأبدية الأزلية السرمدية التي لا زوال لها، بل هي خلود أبدي بلا موت ولا فناء[2].

2 ـ صفة العلم:

والعلم يقتضي نفي الجهل وعلمه سبحانه علم شامل كامل محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وعلم مطابق للواقع، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14]، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255]. وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 166].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من شر ما عمل... (الحديث: 6837).

(2) مع الله، ص: 216.

فالله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء رحمة وحكمة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]. وكما أن علمه لا يسبقه جهل فلا يلحقه نسيان ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: 7]، وهو يعلم الدقائق والتفاصيل والظواهر والبواطن، والكليات والجزئيات، والمعاني والماديات، ولقد كتب مقادير كل شيء في كتاب عنده، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: 85].

فهذا العلم يوجب الخشية منه وتعظيمه، ولذا قيل: من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ويوجب مراقبته، لأنه كل شيء بعلمه وسمعه وبصره وتحت سلطانه.

ويوجب محبته لأنه كمال العلم محبوب للنفوس الشريفة التواقة، ويوجب محبة العلم والسعي فيه وتحصيله والتلذذ به، لأن الله يحب العلم والعلماء ويكره الجهل والجهلاء ويوجب الصبر على التعلم وذله، لأنه عبادة، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان، وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة، وعلم الشريعة والوحي والآخرة محبوب، لأنه يثمر المعرفة به والقربى منه ومعرفة ما يريد وما يحب وما يكره سبحانه وتعالى، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة لأنها تزيد العبد بصيرة بخلق الله وقدرته وحكمته وعظمته وتيسر الانتفاع بهذا الكون: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجَاثِيَة: 13].

إن صفة العلم مستمدة من اسمه العليم، وهذا الاسم الشريف العظيم يولد في النفس تسليماً لما يفعله الله في كونه، وأنه بعلمه وإرادته وحكمته، فالحكمة هي العلم، والقدرة هي قرين العلم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: 2]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54]، فكل شيء بقدر وكل قدر بحكمة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: 11].

إن الإيمان بالرب (العليم) يجعل العبد أقرب إلى ربه وأكثر استشعاراً لمعيّته.

قال الشاعر:

هو العليم أحاط علماً بالذي ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... قاضي الأمور لديه قبل الداني

لا جهل يسبق علمه كلا ولا ... ينسى كما الإنسان ذو نسيان[1]

3 ـ صفة القدرة:

القدير سبحانه: هو كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء، وبقدرته سبحانه يقلب القلوب على ما يشاء ويريد[2]. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: 4]. وقال:

---

(1) مع الله، ص: 121.

(2) المصدر نفسه، ص: 235.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [المؤمنون: 95.] ومن السنة المطهرة حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك..**»[1].

4 ـ صفة الإرادة:

الإرادة والمشيئة بمعنى واحد فالإرادة التي تعني المشيئة هي الإرادة الكونية، وأما الإرادة الشرعية فتختلف عن الإرادة الكونية وسيأتي الحديث عنها مفصلاً بإذن الله لاحقاً والآيات والأحاديث في بيانها كثيرة جداً منها قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المَائدة: 6] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: 185]. وأما الأحاديث فمنها حديث معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[2].

5 ـ إثبات صفة السمع والبصر:

والمعلوم والمقدر عند أهل السنة أن السميع لا يكون إلا بسمع

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى (الحديث: 1162).

(2) أخرجه **البخاري** في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (الحديث: 71)، وأخرجه **مسلم** في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة (الحديث 2386)..

والبصير لا يكون إلا ببصر، كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة[1]. والآيات في إثبات صفتي السمع والبصر كثيرة، والأحاديث أيضاً، ولذلك سنستدل ببعض الآيات قال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134].

6 ـ إثبات صفة الكلام:

أهل السنة متفقون على أن الله يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء[2]، قال تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 253]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

فلله ﷻ من صفاته صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداء لاتّصافه بها ولا انتهاء، يتكلم بها بمشيئته واختياره وكلامه تعالى أحسن الكلام، ولا يشابه كلام المخلوقين، وإذا الخالق لا يقاس بالمخلوق ويكلم به من شاء وبغيرها ويسمعه على الحقيقة من شاء من ملائكته ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى، كما أن كلامه تعالى لا يشبهه كلام المخلوقين، فإن صوته لا يشبه أصواتهم وكلماته تعالى لا نهاية لها، ومن كلامه القرآن والتوراة والإنجيل، فالقرآن كلامه، سوره وآياته وكلماته[3]، والقرآن الكريم غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله وحروفه ومعانيه، والدليل أنه

(1) من عقيدة المسلمين، ص: 72.
(2) المصدر نفسه، ص: 73.
(3) من كتاب العقيدة السلفية في كلامه رب البرية، ص: 63.

من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6].

والقرآن منزل من عند الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1]، والقرآن غير مخلوق والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: 5].

7 ـ علو الله على خلقه:

إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون ذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته[1]، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] ، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18] ، وجميع معاني العلو ثابتة له سبحانه علو الذات، وعلو القدرة، وعلو القهر والغلبة، وعلو الحجة، فهو علو ذات وعلو صفات، ولذا وصف نفسه بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾

(1) إثبات صفة العلو، للمقدسي، ص: 63.

[طه: 5] ، فالعلو الكامل له وحده سبحانه، والعلو الدائم له وحده سبحانه ولهذا قال النبي ﷺ: **«حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»**[1]. ومن علوه أن جعل الرفعة والعلو لكتابه ولدينه ولأوليائه الصادقين كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 68] ، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: 4] وقال ﷺ: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»**[2]. ومع علوه سبحانه فهو القريب مجيب سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفياً ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: 3]. ويخبر عن نفسه أنه يسمع السر وأخفى والسر ضد الجهر، وما هو أخفى من السر فهو الخطرات التي لا يعيها صاحبها، ولا يدركها، والمعاني المكنونة لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه وذاته، فهناك عالم الأسرار وهناك عالم اللاشعور واللاوعي وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوه واستوائه على عرشه محيط بذلك كله، لا تخفى عليه خافية ولذا سمَّى نفسه بذي المعارج ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: 3] وفسَّره بقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] وذكر نزول الملائكة والروح ونزول الوحي، كما ذكر ارتفاع الأشياء وصعودها إليه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]]، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158] .

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: الجهاد والسير، باب: ناقة النبي ﷺ (الحديث: 2872).

(2) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (الحديث: 1894).

قال الشاعر:

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الصمد العليّ[1]

8 ـ إثبات صفة الوجه:

نثبت لله صفة الوجه بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه يليق به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: 27]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88] وقول النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**»[2].

9 ـ إثبات صفة اليدين:

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75].

وقال ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمٰن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[3].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة اليد الإفراد والتثنية والجمع ففي الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [المُلك: 1]، وفي التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:

---

(1) مع الله، ص: 150.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية... (الحديث: 56).

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر... (3/ 1458).

64] ، وفي الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: 71]. والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: **الوجه الأول**: مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنيتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثني على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً[1].

10 ـ إثبات صفة العين:

وإثبات صفة العين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن العين لله جارحة كأعيننا، بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقِدَمه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق[2]، والعين صفة لله تعالى بلا كَيْف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: 39] ، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14] ، وهنا ذكرت بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع[3].

11 ـ إثبات صفة النفس:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:

(1) لمعة الاعتقاد، ص: 50.
(2) الصفات الإلٰهية، ص: 319.
(3) من عقيدة المسلمين، ص: 82.

54]، وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: 116]، وقال ﷺ: «**يقول الله** ﷻ أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[1]. فالله جلّ وعلا أثبت في كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بيَّن على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً كما أثبت النفس في كتابه، ونثبتها له على الوجه اللائق به[2].

4 ــ الصفات الفعلية:

تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحت مشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو سبحانه لم يزل موصوفاً بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وإرادته، ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير[3].

وأفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي، فالاستواء

---

(1) أخرجه البخاري، في كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (الحديث: 7405).

(2) **لمعة الاعتقاد، لابن قدامة**، ص: 51.

(3) شرح العقيدة الوسطية، ص: 105. 106.

والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول، بل هي قائمة بالفاعل، والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول[1]، وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: 59]، فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف بها سبحانه، كما يجب التنبيه أيضاً إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي: صفة ذات وصفة فعل، وذلك مثل صفة الكلام والخلق والرحمة[2].

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 28]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31]، وحديث أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «**أنا**

(1) علو الله على خلقه، ص: 66.

(2) المصدر نفسه، ص: 66.

سيد الناس يوم القيامة» إلى أن قال: **«يأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: آدم إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله...»**[1]. وعلينا إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل[2].

ـــ بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة:

ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله ﷻ على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، ولكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: 142] ، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 54] ، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: 14-15]. فلا يطلق على الله لفظ مخادع، ماكر، ناسٍ، مستهزئ، ونحو ذلك تعالى الله عنه علواً كبيراً، ولا يقال: الله يستهزئ ويخادع

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ (الحديث: 7410) مطولاً، وأخرجه أيضاً في كتاب: التفسير، باب: قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (الحديث 4476).

(2) علو الله على خلقه، ص: 69.

ويمكر، وينسى على سبيل الإطلاق، وقد أخطأ الذين عدوا ذلك من أسمائه الحسنى خطأً كبيراً، لأن الخداع والمكر يكون مدحاً ويكون ذماً، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا مقيداً بما يزيل الاحتمال المذموم منه كما ورد مقيداً في الآيات[1].

ـ الله ينزه عن كل صفة نقص:

ينزه الله ﷻ عن الغفلة والنسيان بأي وجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شيء، فلا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خطأ بعض المعلومات أو نسيانها والذهول عنها، قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: 52]، ومنزه عن الاحتياج إلى الرزق والطعام لأنه هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: 56-58]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: 14]، والله منزه عن الظلم للعباد بأن يزيد في سيئاتهم، أو ينقص من حسناتهم، أو يعاقبهم على ما لم يفعلوا، فإن الظلم لا يفعله إلا من هو محتاج إليه، أو من هو موصوف بالجَوْر، أما الله الغني عن خلقه من جميع الوجوه الحَكَمْ العدل الحميد، فما له وظلم العباد؟ قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، والله منزه عن العبث في الخلق والأمر فلم

(1) معارج القبول (1/ 76).

يخلق سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً ولا باطلاً، ولا شَرَّع إلا حكمة عظيمة لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحمده إتقان المصنوعات وإحكامها وإحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه[1].

ـ صفات الله كلها صفات كمال:

لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم والقدرة والسمع والبصر، والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك، ولله ﷻ المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: 60] ، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27] ، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى، إن الخلق مضطرون على كون الخالق سبحانه وتعالى أجلّ وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فطر الناس وهو ضروري في حق من سلمت فطرته، فدلالة الفطرة على الصفات واضحة وبينة، فإن كل حادث لا بد له من محدث، وهذا المحدث لابد أن يكون قادراً، عالماً، مريداً، حكيماً، فالفعل يستلزم القدرة، والإحكام يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة وفي الفطرة الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق، والذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وكذلك في الفطرة تنزيه الله عن النقائص والعيوب، ومن القضايا البدهية المستقرة في الفطرة أن الذي

(1) الحق الواضح المبين، **لابن سعدي**، ص: 10.

يعلم والذي يقدر والذي يتكلم ويبصر أكمل من العادم لذلك، ولهذا يذكر الله تعالى هذه المسألة بخطاب الاستفهام الإنكاري ليبين أنها مستقرة في الفطرة، وأن النافي لها قال قولاً منكراً في الفطرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: 17]. فالتسوية منكرة في الفطرة وينكر ذلك على من سوى بينهما، فالذي ليست لديه صفات كمال، لا يمكن أن يكون رباً، ولا معبوداً، وأن العلم بذلك فطري[1]، كما قال الخليل: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42]، وقال تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: 148].

ـ من لوازم استحقاق الله تعالى لصفات الكمال تفرده بالحكم:

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 10]، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: 10-12].

ذكر سبحانه وتعالى صفات الرب الذي تفوض إليه الأمور

(1) عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، ص: 102.

ويتوكل عليه، وأنه فاطر السمٰوات والأرض وخالقها، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة[1]. وأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: 12]، وأنه سبحانه وتعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرّعد: 26]، ويقدر أي: بمعنى يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم، فعلى المسلم أن يتفقه صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم[2].

ـ نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها:

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

لأنها لو لم تكن تدل على معاني وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ولكن الله أخبر عن نفسه، بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: 58]، فعلم أن «القوي» من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [فاطر: 10]، فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قوياً ولا عزيزاً وهكذا في سائر أسمائه، وحقيقة الإلحاد فيها، أي في أسمائه تعالى العدول فيها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها عنها:

---

(1) أضواء البيان، بتصرف (7/ 163).

(2) من عقيدة المسلمين، ص: 141.

- أن تسمى بعض المعبودات باسم من أسماء الله تعالى أو يقتبس لها اسم من بعض أسمائه تعالى، كتسمية المشركين بعض أصنامهم «اللات» أخذاً من «الإله» و«العزى» أخذاً من «العزيز» وتسميتهم الأصنام أحياناً «آلهة» وهذا إلحاد واضح كما ترى لأنهم عدلوا بأسمائه تعالى إلى معبوداتهم الباطلة .

- تسميته تعالى بما لا يليق به، كتسمية النصارى له (أب)، وإطلاق الفلاسفة عليه «موجباً لذاته» أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

- وصف الله تعالى بما ينزه عنه سبحانه، كقول اليهود ولعنوا بما قالوا: إنه فقير وقولهم أنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم أيضاً - غلت أيديهم -: يد الله مغلولة، وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقها أعداء الله قديماً وحديثاً.

- تعطيل أسمائه تعالى عن معانيها وهي الصفات وجحد حقائقها، كما فعلت بعض الفرق المبتدعة حيث جعلوا أسماء الله ألفاظاً مجردة لا تدل على الصفات، كقولهم: سميع بلا سمع، وعليم بلا علم.

- تشبيه الله تعالى بصفات خلقه[1].

ـ آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة:

ومشهد الأسماء والصفات من أجل المشاهد، والمطلع على هذا

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم (1 / 169).

المشهد يعرف أن الوجود متعلق خلقاً وأمراً بالأسماء الحسنى والصفات العلا، ومرتبط بها، وإن كل ما في العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها.

فاسمه الحميد، المجيد، يمنع ترك الإنسان سدى، مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه (الحكيم) يأبى ذلك، وهكذا فكل اسم من أسمائه له موجبات وله صفات، فلا ينبغي تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه، فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة، ويحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه فرحاً لا يخطر بالبال، وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه بموجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك، وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه، وما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده، وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما: مغفرة الزلات وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات مع كمال القدرة على استيفاء الحق، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فحلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته[1]. كما قال الله على لسان عيسى عليه السلام في القرآن: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة: 118]. أي: فمغفرتك عن كمال قدرتك،

(1) مدارج السالكين، ص: 417، 418.

وحكمتك ليست كمن يغفر عجزاً ويسامح جهلاً بقدر الحق، بل أنت عليم بحقك، قادر على استيفائه، حكيم في الأخذ منه، فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال وغايتها أيضاً مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلٰهيته، فلله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة، والله سبحانه دعا عباده إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأمرهم بشكره ومحبته وذكره وتعبدهم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، لأن كل اسم له تعبد مختص به، علماً ومعرفة وحالاً، وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا يحجبه عبودية اسم عن اسم آخر، كما لا يحجبه التعبد باسمه: «القدير» عن التعبد باسمه: «الحليم الرحيم» أو يحجبه عبودية اسمه: «المعطي» عن عبودية اسمه «المانع» أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسم «المنتقم» أو التعبد بأسماء «البر والإحسان واللطيف» عن أسماء «العدل والجبروت والعظمة والكبرياء» وهذه طريقة الكمال من السائرين إلى الله وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]. والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء، ودعاء التعبد[1]. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، فالله سبحانه وتعالى يُحب بموجب

(1) مدارج السالكين (2/ 419).

أسمائه وصفاته، فهو «عليم» يحب كل عليم، وهو «جَوَادٌ» يحب كل جواد، «وتر» يحب الوتر، «جميل» يحب الجمال، «عفو» يحب العفو وأهله، «حيي» يحب الحياء وأهله، «بر» يحب الأبرار، «شكور» يحب الشاكرين، «صبور» يحب الصابرين، «حليم» يحب أهل الحلم. فلمحبته سبحانه للتوبة، والمغفرة، والعفو، والصفح خلق من يغفر لهم ويتوب عليهم، ويعفو عنهم، وقدر عليهم ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ليترتب عليه المحبوب له المرضي له[1].

وظهور أسماء الله وصفاته في هذه الحياة وفي النفس البشرية وفي الكون كله واضح لا يحتاج إلى دليل إلا أن الاهتداء إلى تلك الآثار أو الانتباه لها يتوقف على توفيق الله تعالى، بل إن التوفيق نفسه من آثار رحمته التي وسعت كل شيء. فلو فكر الإنسان في هذا الكون الفسيح وفي نفسه لرجع من هذه الجولة الفكرية بعجائب، واستفاد منها فوائد ما كان يحلم بها ولو تأملنا هذه الكريمة لرأينا أموراً تعجز عن التعبير عنها، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: 115-116].

ومما يؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تثمره أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة[2].

---

(1) مدارج السالكين (2/ 420).

(2) انظر: دراسات في مباحث الأسماء والصفات، ص: 14، 15.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فكل اسم من أسماء الله له تأثير في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، فالأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضاها لأثرها من العبودية، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فمثلاً: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة، يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره، وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية[1] الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه لكماله وجماله وصفاته العلا يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت تلك العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها[2]، وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب: هي أكمل الأحوال، وأَجَلّ وصف يتصف به القلب وينصبغ به، ولا يزال العبد

(1) مفتاح السعادة (2/ 90).

(2) المصدر نفسه (2/ 90).

يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية، فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين[1].

خامساً: أثر الصفات الإلهية على الأخلاق:

تحدث الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» عن صفات الله وكيفية توحيده وتنزيهه والوجه الأسلم في ذلك، وكيفية التخلق بصفات الله ﷻ، فقال:

1 ـ **التخلق بالقدوس**: فقال: «القدوس»: هو الطاهر من كل عيب ونقصان وثمرة معرفته: التعظيم، والإجلال والتخلق به بالتطهير من كل حرام ومكروه وشبهة، وفضل مباح شاغل عن مولاك.

2 ـ **التخلق بالسلام**: «السلام»: إن أُخذ من تسليمه على عباده فعليك بإفشاء السلام، فإنه من أفضل خصال الإسلام، وإن أخذ من السلامة من العيوب، فهو كالقدوس، وإن أخذ من الذي سلم عباده من ظلمه، فليسلم الناس من غشك وظلمك وضرّك وشرّك، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

3 ـ **التخلق بالإيمان**: «المؤمن»: إن أُخذ من تصديق الله نفسه فعليك بالإيمان بكل ما أنزله الرحمٰن، وإن أُخذ من أمنه العباد من ظلمه، فأظهر من برك وخيرك ما يؤمن الناس من شرك وضرك، وإن أخذ من خالق كل أمن فاسع لعباد الله من كل أمن[2].

---

(1) القواعد الحسان لتفسير القرآن، **للسعدي**، ص: 130.

(2) شجرة المعارف، ص: 39.

4 ـ **التخلق بالهيمنة**: «المهيمن»: هو الشهيد، فإن أخذ من مشاهدته لعباده وعليهم في القيامة، فثمرة معرفته خوفك وحياؤك من شهادته عليك إن عصيته، ورجاؤك شهادته لك إن أطعته، والتخلق به أن تقوم بالشهادة في كل ما نفع وضرّ، وساء وسرّ، ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين.

5 ـ **التخلق بالعزة**: «العزيز»: إن أخذ من الغلبة فهو كالقهار وثمرة معرفته الخوف وإن أخذ من الامتناع من الضّيم فلا تخلق به إلا في بعض الضُيوم، كضيم الكفار الفجار، وإن أخذ من الذي يعز وجود مثله فهو سالب للنظير، فلا تخلق به إلا بالتوحد بالطاعة والعرفان على حسب الإمكان، بالنسبة إلى أبناء الزمان[1].

6 ـ **التخلق بالجبر**: «الجبار»: إن أخذ من جبروت العظم والفقير، إذ أصلحتهما فثمرت معرفته رجاء جبره وإصلاحه والتخلق به، بأن تعامل عباده بكل خير وإصلاح تقدر عليه، أو تصل إليه، وإن أخذ من العلو فهو كالعلي، وثمرة معرفته كالثمرات معارف جميع الصفات، وإن أخذ من الإجبار فهو كالقهار[2].

7 ـ **التخلق بالتكبر عن الرذائل**: «المتكبر»: إن أخذ من تكبره عن النقائص فهو كالقدوس، فتكبر عن كل خلق دنيء، وإن جعل شاملاً لجميع الأوصاف فثمرة معرفته الإجلال والمهابة في جميع الأحوال الحادثات من سائر الصفات، وكذلك العظيم والجليل والعلي والأعلى[3].

---

(1) شجرة المعارف، ص: 39.

(2) المصدر نفسه، ص: 39.

(3) المصدر نفسه، ص: 39.

8 ـ **التخلق بالحلم**: «الحليم»: هو الذي لا يعجل بعقوبة المذنبين، فاحلم عن كل من آذاك وظلمك وسبّك، وشتمك، فإن مولاك صبور حليم، بَرٌّ كريم، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

9 ـ **التخلق بالصبر**: «الصبور»: هو الذي يعامل عباده معاملة الصابرين، فعليك بالصبر على أذية المؤذين وإساءة المسيئين فإن الله يحب الصابرين[1].

10 ـ **التخلق بالإعزاز**: «المعز»: خالق العِزّ وثمرة معرفته الطمع في إعزازه بالمعارف والطاعات والتخلق به، بإعزاز الدين ومن تبعه من عباد الله المؤمنين.

11 ـ **التخلق بالإذلال**: «المذل»: خالق الذلُّ وثمرة معرفته خوف الإذلال بالمعاصي والمخالفات، والمعاملة به بإذلال الباطل وأشياعه وإخمال العُدوان وأتباعه[2].

12 ـ **التخلق بالانتقام**: «المنتقم»: هو المعذب لما يشاء من عباده عدلاً، وثمرة معرفته الخوف من انتقامه والتخلق به لمن ابتُلي بشيء من الولايات بالانتقام من الجنُاة بالحدود، والتعزيزات والعقوبات المشروعات[3].

13 ـ **التخلق باللطف**: «اللطيف»: إن أخذ من معرفة الدقائق فثمرة معرفته خوفك ومهابتك وحياؤك من معرفته بدقائق أحوالك

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 39.
(2) المصدر نفسه، ص: 41.
(3) المصدر نفسه، ص: 43.

وخفايا أقوالك وأعمالك إذ لا يعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

14 - **التخلق بالشكر**: «الشكور»: إن أخذ من ثنائه على عباده، فثمرة معرفته رجاؤك الدخول في مدحته بطاعته ومعرفته، والتخلق به بشكر مولاك، وشكر أبويك وشكر كل من أحسن إليك[1]، «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[2].

15 - **التخلق بالحفظ**: «الحفيظ»: إن أخذ من العلم فقد سبق، وإن أخذ من ضبط الأشياء وحفظها فثمرة معرفته رجاؤك حفظه في أولادك وأخراك والتخلق به بحفظ ما أمرت به من الطاعات والأمانات، فإن الله قد مدح الحافظين لحدوده، وبشَّرَهُم بإنجاز وعوده فقال: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [قَ: 32].

16 - **التخلُّق بالتقديم والتأخير**: «المقدم والمؤخِّر»: ثمرة معرفتها المهابة والإجلال والاعتماد عليه في تقديمه وتأخيره ورجاء أن يُقدِّمَك بطاعته، وخوف أن يؤخِّرك بمعصيته، والتخلق بهما بتقديم ما أمرت بتقديمه وتأخير ما أمرت بتأخيره، بأن تقدم الأمثال على الأراذل، وأن تقدم أوجب الطاعات على واجبها، وأفضلها على فاضلها، ومضيِّقَها على موسعها، وبأن تقدم القُربات والطاعات إلى أوائل الأوقات، فإن الله مدح الذين يسارعون في الخيرات[3].

---

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 45.

(2) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف (الحديث: 4811).

(3) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 45.

17 ـ **التخلق بالبَرّ**: (البرُّ): هو المنعم، وثمرة معرفته رجاء أنواع برّه، والتخلق به بأن تبرَّ كُلَّ من تقدر على بره بأحبِّ أموالك إليك وأنفسها لديك، فإنَّ مولاك يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: 92].

18 ـ **التخلق بالتوبة**: «التّواب»: إن جُعل بمعنى الموفِّق للتوبة فثمرة معرفته رجاء توبته عليك، والتخلف به بأن تَحُثَّ المسيءَ على التوبة وتحرِّضهُ على الأوْبَة، وإن جُعل بمعنى قابل التوبة، فاقبل عذر من أساء إليك وندم على جرأته عليك[1].

19 ـ **التخلق بمعنى المغني**: والتخلق به بأن تُغني كلّ محتاج بما تقدر عليه من علم وغيره، فتذكر الغافل، وتُعلم الجاهل، وتُقيم المائل وتُسيِّر العائل.

20 ـ **التخلق بالضُر والنَفع**: «الضار والنافع»: ثمرة معرفتها خوف الضَّرر ورجاءُ النفع والتخلق بهما بنفع كل من أُمرت بنفعه، وضرّ كلّ من أمرت بضره بجد أو قتل أو غيره، «... **والخلق عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»، فعليك ببذل المنافع لكلّ دان وشاسِع[2].

21 ـ **التخلق بهداية الضال**: «**النور الهادي**»، ثمرة معرفتها رجاؤك أن ينور جَنَانك بمعرفته ويزين أركانك بآثار هدايته، والتخلق بهما بأن تكون نوراً من أنوار الله، هادياً إلى صراط الله. فوالله «**لأن**

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 47.
(2) المصدر نفسه، ص: 48.

يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن تكون لك حُمر النَّعم»[1].

22 ـ **التخلق بالقبض والبسط**: «القابض الباسط»: ثمرة معرفتها الخوف من قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة، والتخلق بالبسط بأن تبسط برك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذّر إذ في كل كبد رطبة أجر[2]. والتخلق بالقبض بأن تقبض عن كل أحد ما ليس له أهلاً، من مال وولاية وعلم وحكمة، فلا تؤتوا السفهاء أموالكم فيتلفوها[3].

23 ـ **التخلق ببذل الهبات**: «الوهاب» ثمرة معرفته رجاء أنواع هباته وصلاته، والتخلق به بكثرة الهبات والصّلات مُقدّماً للآباء والأمهات، والبنين والبنات.

24 ـ **التخلق بالجود والكرم**: «الجواد الكريم» ثمرة معرفتهما الطمع في آثار جوده وكرمه والتخلق بهما لمن أراد الوصول إليه بأن تجود بكل ما يقدر عليه من مال وجاه وعلم وحكمة، وبر ومساعدة.

25 ـ **التخلق بالإجابة**: «المجيب» ثمرة معرفته رجاء إجابة دعائك لعلمه بافتقارك إليه واعتمادك عليه، وأنه سامع لدعائك عالم ببلائك، خابر لسرّائِك وضرّائِك، والتخلق به بإجابة مولاك فيما دعاك إليه من قُربـاته، وبإجابة كل داع إلى ما يُرضي مولاك في طاعاته وعباداته[4].

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (الحديث: 4210).
(2) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 49.
(3) المصدر نفسه، ص: 49.
(4) المصدر نفسه، ص: 50.

26 ـ **التخلق بالمجد**: «المجيد» الذي كثر شرفه، وتمّ كماله وجلاله في ذاته وصفاته، وثمرة معرفته المهابة والإجلال، والتخلق به يمكن التخلق به مما سبق ذكره، فإنه شامل لجميع الصفات كما شمِلها ذو الجلال والإكرام، فهذه إشارات إلى كيفية التخلق بالصّفات ولا يحصل التخلق بالصفات إلا لمن واظب على التحديق إليها، والإقبال عليها، ولذلك أمرنا الله تعالى بإكثار ذكره لنُلابس ما يثمره ذكره من الأحوال والأقوال والأعمال[1].

سادساً: وصف الله نفسه بالمغفرة لا يعني الإسراف في المعاصي:

وصف الله سبحانه نفسه بأنه غفار وغفور للذنوب والخطايا والسيئات لصغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه الإنسان واستغفر ربه قبِل الله توبته وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُمَر: 53] ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: 110] ومهما كبرت ذنوب هذا الإنسان فإن مغفرة الله ورحمته أعظم من ذنوبه التي ارتكبها قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم: 32] ، وقد تكفل الله سبحانه بالمغفرة لمن تاب وآمن، قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 82] ، ومن فضله وجوده وكرمه تعهد أن يبدل سيئات

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 50.

المذنبين إلى حسنات ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 96]. ولكن لا يجوز للمسلم أن يسرف في الخطايا والمعاصي والفواحش بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 25]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل: 11]، فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى الصالحات والحسنات لكي تتحقق المغفرة والرحمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48]، يبين الله أن المقيم على الشرك حتى الوفاة لا غفران لذنوبه؛ لأنه لم يبدل حسناً بعد سوء، وكذلك قوله تعالى عن المنافقين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6] لأنهم لم يخلصوا دينهم لله ولم يصلحوا من أحوالهم، وأما إذا حصل ذلك فإن المغفرة تحصل لهم مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: 146]، فلابد من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، وأما إن مات وهو مقيم على الكبائر من غير أن يتوب، فإنه ليس له عهد عند الله بالمغفرة والرحمة، بل إن شاء غفر له وعفا عنه لفضله، وإن شاء عذبه في النار لعدله ثم يخرجه برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يدخله الجنة، وذلك للموحدين خاصة[1].

(1) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ص: 150، 151، شرح الطحاوية، ص: 416. 421.